

## الأدب والفنون ذهابا-إيابا

التجارب التي خاضها عدد من الشعراء المغاربة، خلال سبعينات القرن الماضي، على مستوى تجربتهم الكاليفرافية القائمة على توظيف الخط المغربي على مستوى أعمالهم الشعرية خير نموذج على ذلك. وإن كانوا قد أفسدوها في ما بعد، بفعل النقاش الطويل الذي همّ تحديده من كان وراء السبق.

وعلى المستوى الغربي، تبرز كثير من التجارب التي تبحث عن فضاءات أخرى لاستثمار العلاقة بين الأدب والتشكيل. ولعل من بينها السلسلة الشهيرة "الكنوز الدفينة"، التي كانت قد أطلقتها دار النشر الفرنسية فلوهيك، والتي تقترح، على مستوى كل إصدار، عودة إلى أعمال فنان تشكيلي قديم من طرف كاتب معاصر، كما هو الأمر بالنسبة إلى العمل الذي جمع الكاتب المغربي الطاهر بنجلون والفنان التشكيلي السويدي الشهير البرتو جياكوميني، المتوفى خلال ستينات القرن الماضي.

بخلاف هذه العلاقات التي تضمن المرور السلس بين الأدب وبعض الفنون، لا يُغري الذهاب إلى فنون أخرى وتوظيفها الكثيرين. ولعل ذلك يهيم بشكل خاص القصيدة والسينما. وقد يبدو، من باب الإنطباع، أنه لم يسبق، على مستوى مجمل تاريخ السينما العربية، أن سجل اسم مخرج أتى من مجال الشعر، إلا في حالات معدودة لا تليق بحجم هذه السينما وتاريخها. كما نندر الأعمال السينمائية العربية التي يمكنها أن تُشعر المشاهد أنه أمام قصيدة، على الأقل من خلال توفرها على الشروط الجمالية الراقية.



### العلاقة بين الأدب والفنون متشابكة لكن كثيرا ما يتم الحديث عنها بشكل يختزلها في جانبها الأحادي

وغير بعيد عن ذلك، تتسم علاقة الأدب بالموسيقى، على الأقل في الوقت الراهن، بكثير من الإلتباسات والمفارقات. ويمكن اختزال هذه العلاقة في صورة تبدو فيها الموسيقى كما لو أنها تطرق بقوة وبإلحاح باب الأدب، بينما يصر الأخير على عدم الإلتباس إلى صيف غير مرغوب فيه، وهو الذي كان يقاسمه خلال قرون نفس البيت. ولعل هذه الصورة تنطبق بشكل أكبر على القصيدة، التي طلق أصحابها على الموسيقى، ليسعوا إلى شحن نصوصهم بمزيد من النثر، مولعين على الموسيقى الداخلية. وإن كان عدد قليل منهم يستطيع تحقيق ذلك، والنتيجة أننا حققنا، خلال العقود الأخيرة، تراكم شعريا ضخما. أما الغائب في هذه الزحمة فهو الشعر والنثر معا.

والغالب أن ذلك لا يهيم المشهد العربي فقط، بل يشمل أيضا الشعر في بعده الكوني. ولعل ذلك ما يفسر، على سبيل المثال، الجدل الذي أثاره بشكل كبير فور الأمريكي بوب دايلان، القادم من عالم الموسيقى وكتابة الكلمات، بجائزة نوبل للأدب، قبل سنتين. وبمعزل عن ذلك، كثيرا ما يتم الحديث عن العلاقة بين الفنون والأدب بشكل يختزل هذه العلاقة في جانبها الأحادي، الذي يعتبر الأدب مركز هذه العلاقة ومؤلفها. بينما يتم تناسي الطرف الآخر. إذ يندر أن نقرأ رواية كتبت انطلاقا من قصة فيلم سينمائي، أو قصيدة يمكن أن تغني عن قطعة موسيقى راقية.

حسن الوزاني  
كاتب مغربي



تبدو العلاقة بين الأدب والفنون غير خاضعة لوصفة نهائية. إنها قد تتغير مع تغير الأزمنة والكتب والفنانين وقدرتهم على التجريب والمغامرة في اجتياز جنس أدبي أو فن ما نحو آخر، بما يمكن أن يحمل ذلك من غنائم وخسائر إبداعية.

وفوق ذلك، تظل هذه العلاقة محكومة بنوع الجنس الأدبي وبنوع الفن. إذ يبدو على سبيل المثال، وإن كان ذلك من باب الإنطباع، أن الطريق الذي يقود الرواية نحو السينما صار، مع مرور الزمن وتراكم التجارب، أكثر رحابة، خصوصا بحكم طبيعته المكون السردية الذي يجمع الحقلين.

ولعل ذلك ما يؤكد، سواء التراكم الذي تعرفه الفيلموغرافيا العربية المستندة على النصوص الروائية، أو فيضاً الأعمال الغربية، بما فيها الأعمال المكرسة لحياة الكاتب، كما هو الأمر بالنسبة إلى أفلام "الغراب الأسود" المكرس لحياة إدغار آلان بو، و"حياة إيميل زولا"، و"موليير"، و"ساعي البريد"، الذي يحكي جزءاً من حياة الشاعر بايلو نيرودا. بل إن قيمة حياة الكاتب ظلت تشكل موضة خلال لحظات طويلة على مستوى الأفلام الغربية.

ولذلك باعتبار أن أي ممثل لم يكن يتم اعتباره، حسب الأدبيات السينمائية، فناً حقيقياً إذا لم يمر عبر الأفلام المخصصة لحياة الكاتب، لما يقتضيه ذلك من قدرة كبيرة على نقل حالات مزاج الكاتب المتقلبة، التي يتوزعها الفلق والفرح، والتردد واليقين والعزلة والرغبة في الاحتفاء بالجماعة.

لا تنتهي العلاقة هنا. بل يصير الكتاب، في كثير من الأحيان، بطلاً سينمائياً يزاحم الممثلين. ولعلها حالة الفيلم الشهير "الكتاب الأخضر" للمخرج الأمريكي بيتر فارلي، الحاصل على جائزة الأوسكار لأفضل فيلم، خلال السنة الجارية. ويجعل المخرج من "الكتاب الأخضر"، الذي كان يتم اعتماده بالولايات المتحدة الأميركية، خلال المنتصف الأول من القرن العشرين، لتحديد الأماكن التي لا تستقبل السود، كمحرك أساس لقصة الفيلم. وذلك في إطار تناوله للعنصرية، التي كانت مستشرية خلال الفترة.

أما الحالة الثانية فليست غير رواية أمبرتو إيكو الشهيرة "اسم الورد"، التي كانت صيف الفيلم الذي يحمل نفس الاسم. ويجعل الفيلم، كما الرواية، من الإلهام الذي تعرض له الهندوس عن الجماعات الإسلامية، التي لم تتوان عن إحراق المئات في قطار الغوجارات، بعد أن شاركوا في شعيرة وضع حجارة في أساسيات معبد هندوسي عظيم، بني على أنقاض مسجد هدم قبل عشرات السنوات على أيدي حشد زاعق من الغوغاء.

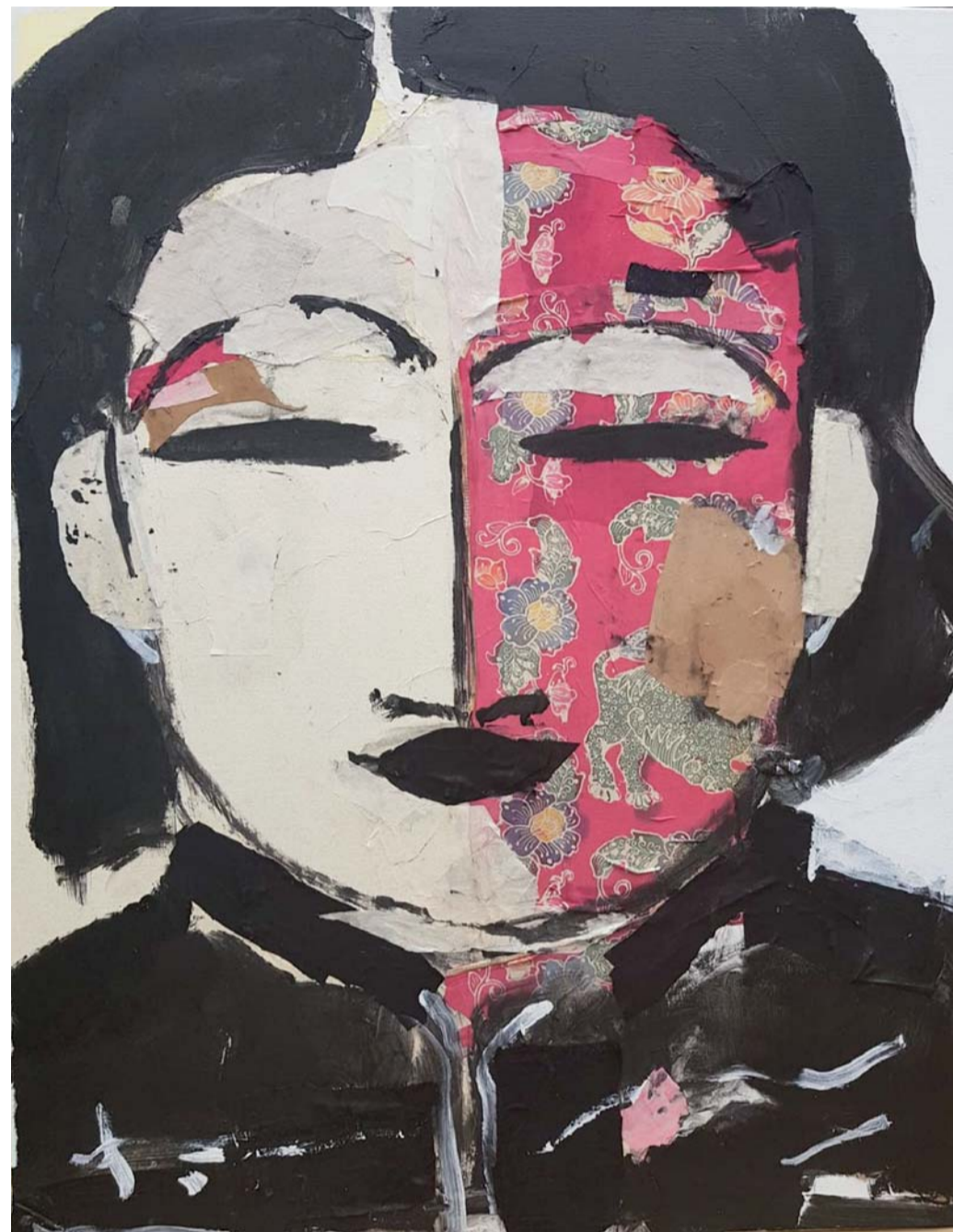
في مقابل ذلك، يبدو مقلقا أن تضع السينما العربية عددا كبيرا من النصوص الروائية الجميلة التي تستحق أن يتم نقلها بذكاء إلى الشاشة، على الأقل لكي تنقد نفسها من بوار الخيال الذي يهدد وجودها.

ولا تقل العلاقة بين الأدب والفنون التشكيلية يسرا عن العلاقة السابقة. ويعود ذلك إلى عراقية الترابط بينهما، إلى درجة أنه كان يتم اعتبار القصيدة لوحة ناطقة واللوحة قصيدة صامتة. ويُترجم ذلك، على مستوى الواقع، من خلال مستويين على الأقل.

يتجلى أولهما في حضور اللوحة كعنصر ضمن الكتاب، من خلال احتلالها لغلغلة، بشكل يصير الغلاف، في كثير من الأحيان، عتبة لفهم النص وإضاءته. ويكمن المستوى الثاني في التجارب المشتركة بين الشعراء والفنانين التشكيليين، على مستوى عدد من المعارض والكتب المشتركة. ولعل

## امراتان تلتقيان في مكان غريب وترويان تاريخ الهند الدامي

«وزارة السعادة القصوى» لأرونداتي روي تدين الحرب والرأسمالية الجديدة



يعتبر المجتمع الهندي من أكثر المجتمعات التي تزخر بتنوع كبير، حضاريا وفكريا وثقافيا وحتى دينيا، ولكن هذا التنوع وإن كان نقطة دفع، اقتصاديا، يبدو خلفه جو قاس من الصراع الذي يصل حد إلغاء الناس لبعضهم بعضا. عوالم كثيرة تتصارع وتتناحر لأجل الثروة أو الدين أو العرق أو فرض وجودها. عوالم نقلتها الكاتبة الهندية أرونداتي روي من خلال رواية جديدة كتبتها بعد انقطاع عن كتابة الرواية دام عشرين سنة.

ممدوح فراج النابلي  
كاتب مصري

بعد مضي أكثر من عشرين عاما على صدور روايتها الأولى "إله الأشياء الصغيرة" 1997، تعود الكاتبة والناشطة الحقوقية الهندية أرونداتي روي إلى عالم الرواية من جديد بروايتها الثانية "وزارة السعادة القصوى" (التي صدرت عام 2017، وترجمها إلى العربية أحمد الشافعي، عن دار الكتب خان بالقاهرة 2019) فوفق تعبير المؤلفة نفسها فإن الرواية "وحدها قادرة على احتضان العالم الذي كان يتكون داخلي".

خلال فترة الانقطاع، تواصلت أرونداتي روي مع فنون كتابية أخرى غير السرد، فأصدرت حوالي 18 كتابا، كانت بمثابة تعليقات ثقافية وسياسية شملت الشأن الهندي والعالمي، كما أن هذه الكتابات جعلتها دائما في دائرة الاتهام بل وقادتها إلى المحاكمة. ومن هذه الكتب "نهاية الخيال" 1998، و"نحن العيش" 1999، و"حديث الحرب" 2003، و"الرأسمالية: قصة مرعبة" 2014. أحداث روايتها الجديدة لا تبعد عن سياق تلك الكتابات التي تحدثت فيها عن أوضاع الهند وقضية الصراع مع كشمير.

### مدنية زائفة

لا يفصل العالم الروائي في الرواية الجديدة، عن العوالم التي نسجتها أرونداتي روي في الرواية الأولى "إله الأشياء الصغيرة" حيث القيمة الأساسية المشتركة بين الروائيتين، هي الانقسام الحاد في بنية المجتمع الهندي، وصراعاته الدينية والأثنية والطبقية، التي لم تتغير على الرغم من حدوث متغيرات عالية، وأخرى محلية، إلا أن الظروف السياسية لم تتبدل، ولم تحدث بارقة أمل، أو تعاضد أو حتى وجود حالة من الاحتواء وخفف أصوات الصراع.

تتوسع الكاتبة في الرواية الجديدة "وزارة السعادة القصوى" لترصد لنا التحولات السياسية وتبدل أنظمة الحكم وفق أيديولوجيات حزبية، وقوى خفية تحرك خيوط اللعبة لصالح مصالحها الشخصية (أرباحها)، وعلو نبرة الخطابات والشعارات المنسجمة مع المرحلة الجديدة، بنيد الفساد، وإعلاء القومية كشعارات "أمننا الهند، الهند" وغيرها. وكذلك حركة الصعود التي بدأتها الهند، في رحلة سباقها مع اقتصاديات العالم الأول.

ولكن، وهو العجيب، أن الهند استمرت في رحلة صعودها دون أن تتخلى عن ميراث الماضي، الحافل بالاضطهاد، والعنصرية، فأخذت آفاق الحدأة والمدنية تشرق، وفي الوقت ذاته كانت آثارها تسحق الفقراء دون شفقة. وهي مدفوعة بحملة من الانتهازيين لترويج هذه المدنية، ففي ظهرهم أن "أندا ما ينبغي أن يدفع ثمن التقدم"، ومن ثم اكتسبت المدن بروج المدنية الغربية فما عاد لزاما على الفرد أن يسافر للتسوق بالخارج؛ فالبيضاء المستوردة متاحة هنا، ولم لا فيومباي صارت نيويورك الهندية، وبالمثل دلهي صارت واشنطن الهندية، وكشمير هي سويسرا الهندية. يتجلى في الرواية - بصورة معقدة - واقع الهند المساوي، وصراعاته التي تمتد إلى عصور طويلة، التي تبدأ

### حكاية متشعبة ترويها امرأة

صراعات طائفية، وحزبية، وهيمنة جماعات متطرفة، أغرقت الهند في بركة من الدماء، حتى وجب على البعض "أن يموتوا لكي ينجوا من الموت"، وأوجاع لم يندمل جرحها، كما تكشف عن لعبة إبداء بعضهم البعض، وهو ما ولد حالة من القويبا من إعلان الديانة، فصار المسلمون يخفون هويتهم الدينية، في ظل هذا العداء المستميت.

وكذلك برزت قضية كشمير ومحاولات الانفصال، وما تبعها من احتراب واغتيالات. حالة الاحتراب تتجاوز الهند إلى العالم كله، فنرى أسراج التجارة العالمية تنهار في الحادي عشر من سبتمبر، وإعدام صدام، واقترام القوات الأميركية للعراق وغيرها من أحداث، والحرب الأميركية على أفغانستان، وما أعقبها من نزوح الملايين إلى الهند.

وقد ولدت هذه السياسات القمعية الجديدة، إرهابا جديدا عبر خلق طبقات من الرأسمالية الجديدة، التي كانت قاسية القلوب في معاملتها واستغلالها للعمال على نحو مدام سننجينا صاحبة "شركة الأمن والأمان لخدمات الحراسة".

تكشف أرونداتي الجرح المؤلم في مجتمعها والتناقضات في هذا المجتمع الذي يقود امرأتين إلى أن تتسحبا إلى الهامش، بعدما فشلنا في الاندماج في هويته.

### عوالم متداخلة

تقدم الروائية، عبر زمن الرواية الممتد - في رحابة وسعة مقصودتين - ستين عاما، تاريخ الهند في أساطيره، وخرافات التي نسجها وأمن بها العامة حول رجال الدين وأصحاب الأضرحة (حضرة سمرم الشهيد)، وأيضا في صراعاته وانقساماته ونكباته وأزماته التي رافقته في رحلة صعوده، ما بين

ما للمسلمين إلا مكانان، المقبرة أو باكستان" أو تلك التي تعرضوا لها من الهندوس، تعرض أيضا لصور من الإلهام الذي تعرض له الهندوس عن الجماعات الإسلامية، التي لم تتوان عن إحراق المئات في قطار الغوجارات، بعد أن شاركوا في شعيرة وضع حجارة في أساسيات معبد هندوسي عظيم، بني على أنقاض مسجد هدم قبل عشرات السنوات على أيدي حشد زاعق من الغوغاء.

### الرواية تتميز بالتشعب في الحكاية، حيث تتوالد حكايات من حكاية، وكأننا إزاء بكرة خيط تتداخل الخيوط باختلاف ألوانها

ليست قيمة الرواية في موضوعاتها التي نسجتها الروائية باقتدار، بل في تقنيات الأسلوبية، التي تمكنت من خلالها أن تتحايل على الملل الذي يتسرب إلى قارئها من قراءة رواية ضخمة بهذا الحجم، خاصة وقد بشرنا كالفينو "بان عصرنا لم يعد عصر الروايات الطويلة".

فكسرت الملل بتقنيات حديثة، وعملت على إحداث التشويق، بتقنياتي القطع والتضفير، حيث زاوجت بين الحكايات والشهادات، والتوثيق وهو ما جعل حكاياتها تتقاطع بين التخيلي والواقعي التاريخي. فتتوازي عين الراوي مع عين المؤرخ في سرد الكثير من التفاصيل، التي قدمت صورة تاريخية متسلسلة زمنيا لهذا الصراع، وطبيعته ودوافعه.

تتقاطع شخصيات أنجم وتلو، على رغم بعد عالميهما، حتى تصل بينهما لا فقط على مستوى لجونهما إلى ذات المكان، بل كانتا شاهدين على ماس ومذابح وحملات إقصاء وقتل وإبادة.

في الأخير، روي كاتبة كبيرة مزجت السياسي بالاجتماعي وخلقت عالما أقل ما يوصف بأنه "مبهز منسوج بإحكام".



من أعمال الكاتب الطاهر بن جلون